

أسرار مواقف وحكايات تروى لأول مرة

15 مايو (الأب الشرعى)

6 أكتوبر

الأهرام: 76-5-18

بقلم: مرسى عطا الله

بالتأكيد : 15 مايو 71 هو (الأب الشرعى) لعبور أكتوبر 73.

فقد كانت لعبة الصراع على السلطة باسم القوات المسلحة، وبتحريك وتآمر مراكز القوى - بعد أيام من رحيل عبد الناصر - تنذر بهدم كل ما بنى للجيش بعد النكسة، مما يجعل المعركة مستحيلة . وجاءت المفاجأة الكاملة فى الخطاب التاريخى للرئيس والقائد فى 4 فبراير 1971- والتي طرح فيها مبادرة إعادة فتح القناة منحا لفرصة أخرى للسلام - تكشف وتعرى المزایدات فى أوامر القيادة العامة ، وتحركات العناصر الضالعة فى لعبة الصراع..

عندما سحب الرئيس السادات معه - قبل يومين من ثورة 15 مايو- الفريق محمد فوزى وزير الحربية، والفريق محمد صادق رئيس الأركان وقتها ليضع أمام الضباط فى قاعدة انشاص الجوية تصوره لاحتمالات المرحلة القادمة وليؤكد حتمية الصدام المسلح مع العدو ولكن فى الوقت الملائم لظروفنا واستعداداتنا - وكان الصراع داخل اللجنة التنفيذية واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى قد بلغ ذروته وأصفر عن إقالة على صبرى - روى الرئيس واقعة عن ظروف العمل السرى للضباط الأحرار فى فترة الإعداد للثورة ، وكيف أن أحد ضباط المدفعية تسلل إلى صفوفهم وعرف بعض خططهم ثم سارع بإبلاغ السراى منها ، وضحك الرئيس السادات ضحكة لها معنى قائلاً : ومن يومه وأنا أتعامل بحذر مع ضباط المدفعية عموماً !!.

وضجت القاعة كلها بتصفيق شديد متواصل وكان ذلك تعبيراً عن فهم الحاضرين لمغزى الرواية وإدراكهم لانتهاج صنعه موجهة لوزير الحربية الفريق فوزى ضابط المدفعية أصلاً وليس المقصود بها أياً من رجال المدفعية الشرفاء.

وقد عممت بعدها رسالة على سائر أفرع المدفعية بالقوات المسلحة توضح هذا المغزى بينما كان الفريق فوزى قد أصبح سجيناً بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم فى 15 مايو .

واستعادت مصر توازنها تماماً بما جرى فى 15 مايو بعودة الحريات وإغلاق المعتقلات ووضع شعار سيادة القانون موضع التنفيذ .. غير أن كثير القطاعات استفادة وإحساساً بما جرى كانت القوات المسلحة نفسها التى عادت إلى أفرادها روح الثقة والأمن والطمأنينة ، واستعادت إلى أحضانها كل عناصرها الممتازة الذين أبعدها بفعل دسائس مراكز القوى ومنهم على سبيل المثال اللواء أحمد بدوى قائد الجيش الثالث الميدانى ، واحد أبطال حرب أكتوبر العظام.

وظهر أثر 15 مايو واضحاً على القوات المسلحة فى انتهاء روح الشللية وتشجيع روح الخلق والابتكار، وكمثال فقد أخذت فكرة الضابط المهندس الشاب لتجريف السائر الترايبى بمدافع المياه طريقها للنور بعد 15 مايو فى الوقت الذى استعصى فيه على كل الخبراء العالميين طرح أى فكرة لإزالة هذا السائر .

إن العقل المصرى كان حاضراً قبل مايو لكن المناخ السائد لم يكن يسمح لمثل هذا الضابط الشاب بأن يطرح فكرته بهذه الشجاعة وقد سبق للخبراء السوفيت أن رفعوا مجرد مناقشتها عام 1970 ولم يكن غائباً عن الضابط الشاب صاحب الفكرة تلك القصة الشهيرة التى جرت مع ضابط مهندس كبير قبله وأنته الجرأة مرة عام 1969 فاقترح على الفريق محمد فوزى فى إحدى جولاته إجراء بعض التعديلات الفنية على بعض المعدات السوفيتية وقال له بلهجة حادة : لولا أنى أعرف تاريخك العسكرى لخلعت عنك بدلتك ورتبك والبستك جلبابا!!.

وأهم من ذلك كله أن مناخ 15 مايو إنتاج لأفراد القوات المسلحة أن يقولوا رأيهم بصراحة وبصوت حال فى كل ما يروونه ضرورياً لتطوير القدرات القتالية للجيش

المصرى بما فى ذلك رأيهم فى المعدات السوفيتية والخبرات السوفيتية ، بعد أن أخفض صوتهم سنوات طويلة فى مواجهة التقارير الظالمة بشأن كفاءة عمليات المناورة والعبور فى المشروعات التشريعية .

تلك القدرات التى كانت مبعث ألم المقاتلين باعتبارها أحد عناصر الإحباط الرئيسية لروح القتال.

ولعل أحدا لم ينس بعد ذلك الضجة الإعلامية الهائلة التى شهدتها القاهرة فى مارس 1973 عند زيارة جريتشو وزير الدفاع السوفيتى والإعلان عن وصول الميج 23 باعتبارها أحد أسلحة الردع المصرية التى طال انتصار مصر لها .. غير أن ما خفى وراء الضجة الإعلامية كان أخطر بكثير بل وبما كان أحد العوامل التى مهدت تماماً لقرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت.